﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

[الفتح: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيان وقتِ العذاب وعلَّته

لما بيّن الله تعالى في الآية السّابقة شرطَ استحقاق الكفّار للعذاب، وذلكَ في قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ بيّن هنا وقتَ العذاب مَعَ بيانِ علَّته، فقال سُبحانَهُ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَعَلَ﴾: (جعل) تدور تصريفاتُها على تحويل الشَّيء إلى وضعٍ أو هيئةٍ معيَّنة[2]، و(جَعَلَ) لفظ عامٌ في الأفعال كلِّها، وهو أعمّ من (فَعَلَ) و(صَنَعَ) وسائرِ أخواتها[3]، وأخصُّ مِنَ المعاني التي يؤدّيها الفعلُ (خلق) و(أوجد)، ويتعدّى معه إلى مفعولٍ واحدٍ، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: 1]، أو يأتي بمعنى (صيَّر) ويتعدّى معه إلى مفعولين، ومعناه في الآية التصيير[4].

2) ﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾: (حمّ) تدلُّ اشتقاقاتُها على معانٍ، منها: الاسْوِدادُ، ومنه: الحُمَمُ؛ وهو الفَحْم، سُمّي بذلك لسَوادِه. واليَحْمومُ؛ وهوَ الدُّخانُ الأسود. والأصلُ الآخر: الحرارة[5]، ومنه قوله تعالى:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 329.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جعل).
(3) الراغب، المفردات: (جعل).
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 112.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حمّ).

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ ۝١١﴾ [القارعة: 11]، ومِنْ هذا جاء التَّعبير عن القوَّة الغضبيَّة إذا ثارَت وكَثُرَت بالحَميَّة، فقيل: حَميتُ على فلان، أي: غضبتُ عليه، قال تعالى: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾[1]. والمعنى الجامعُ لتصريفاتِ المادَّةِ هو: حدّة بالغة في الشَّيءِ تمنع الاقترابَ منه، كالحرارة للشَّمس والنّار، وكالغضَبِ والأنفة[2].

وحَميَ من الشيءِ، كَرَضيَ، حَميَّةً ومَحْميَةً، كمَنْزِلَة: أنِفَ[3].

3) ﴿ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾: (جهل) تدلُّ اشتقاقاتُها على أصلين؛ أحدهما: ضدُّ العلم، والآخر: الخِفَّة وخلاف الطُّمأنينة[4]، والجهل على ثلاثة أضربٍ؛ أحدها: خلوّ النَّفس من العلم، وهذا هو الأصل. وثانيها: اعتقاد الشَّيء بخلاف ما هو عليه. وثالثُها: فِعْلُ الشَّيء بخلاف ما حقُّه أن يُفْعَل، سواءٌ اعتقد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا[5]، وتُطلَقُ الجاهليَّة على الحالِ التي كان عليها العربُ قبل الإسلام؛ مِنَ الجهلِ باللّه ورسولِه وشرائع الدّين، والمفاخرة بالأنسابِ والكِبْرِ والتَّجبُّر، وغير ذلكَ من خصالِ الجاهليَّةِ التي جاء الشَّرع بخلافِها[6].

4) ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾: (سكن) تدور تصريفاتُها على ضدِّ الحركة والاضطراب[7]، ومنه: السُّكون؛ وهو: ثبوت الشَّيء بعد تحرّك، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [يونس: 67]، ويُسْتَعْمَلُ في الاستيطانِ، نحو: سَكَنَ فلانٌ مكانَ كذا، ومنه قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطّلاق: 6][8]، والسَكينة: الدَّعَةُ والوَقار. يقال: سكن؛ إذا هدأ ووَدعَ، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 4][9] وقوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فإنَّ المراد بها: الثَّبات والأناة[10].

5) ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾: (لزم) تدلُّ اشتقاقاتُها على مُصاحبَةِ الشَّيء بالشَّيء على وجه

(1) الراغب، المفردات: (حمى).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حمو - حمى).
(3) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (حمي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جهل).
(5) الراغب، المفردات: (جهل).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (جهل).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سكن).
(8) الراغب، المفردات: (سكن).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقي: (سكن).
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 194.

الدّوام[1]. ولزِمَهُ المالُ؛ إذا وجبَ عليهِ. ولَزِمَهُ الطَّلاق: وجَبَ حُكْمُه[2]، وألزَم المتعدّي منه. والإلْزام ضربان: إلزام بالتّسخير من الله تعالى أو مِنَ الإنسان، وإلزام بالحُكم والأمر. ومن هذا الثّاني: قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[3]، وهذا إلزامُ الكرَمِ واللُّطف، لا إلزام الإكراه والعنفِ[4].

6) ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: تاء تقوى مقلوب من الواو، فبابه (وقى)، والوِقايَةُ: حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه، والتَّقوى والتُّقى: الصّيانَةُ والحِفْظُ[5] أو: جَعْلُ النَّفس في وِقاية مِمّا يُخافُ[6]، أمّا الاتِّقاء؛ فهو افْتِعالٌ مِنَ التَّقْوى يُرادُ به: اتِّخاذُ الوقاية[7]، فالافْتِعال بمعنَى الاتِّخاذ، كما يقال: اخْتَتَمَ زَيْدٌ؛ إذا اتَّخذ خاتمًا، واخْتَدَمَ إذا اتَّخَذ خادِمًا، ونحو ذلك[8].

وحقيقةُ التَّقوى شرعًا: اتِّخاذُ الوقايةِ مِنْ عذابِ الله تعالى، وذلك بِفِعْلِ أوامِرِه واجتنابِ نَواهيه[9].

وكلمة التَّقوى - عند الجمهورِ - هي: (لا إله إلّا الله)، وزاد بعضهم: (محمّدٌ رسول الله)، وزاد بعضهم: (وحده لا شريك له)؛ إذ بكلمة التَّوحيد يُتَّقى من الشِّرك ومن النّار، فإنَّ أصلَ التَّقوى: جعل الوقاية[10].

7) ﴿أَحَقَّ﴾: (حق) تدلُّ اشتقاقاتُها على إحكام الشَّيء وصحَّته. فالحقُّ: نقيض الباطل، ثُمَّ يرجِع كلُّ فرع إليه بجودةِ الاستخراجِ وحُسْن التَّلفيق، ويُقال: حَقَّ الشَّيء؛ إذا وجَب[11]. ويُسْتَعْمَل الحقُّ استعمال الواجبِ واللّازم والجائز[12]، ومعنى: ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾ أي: أصحاب الحقِّ فيها دون غيرهم؛ لإيمانهم ولأنَّهم الأعلم بالله تَعالى[13].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لزم).
(2) الفيومي، المصباح المنير: (لزم).
(3) الراغب، المفردات: (لزم).
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 301.
(5) يُنظر: الجوهريّ، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، والرّاغب، مفردات غريب القرآن، والفيُّوميّ، المصباح المنير: (وقى).
(6) الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: (وقى)، ووصف الرّاغبُ هذا البيان بأنّهُ التّحقِيقُ.
(7) عليٌّ الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 65.
(8) الحملاويّ، شذا العرف في فن الصّرف، ص: 32.
(9) ابن عثيمين، القول المفيد: 2/ 478.
(10) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 301.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).
(12) الراغب، المفردات: (حقّ).
(13) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 85.

8) ﴿وَأَهْلَهَا﴾: الأصل في لفظِ (أهل) دلالتُهُ على معنى القرابةِ، فيُطْلَقُ الأهلُ على الزَّوجة، وعلى أهلِ البيتِ[1]، والتَّأهُّل: التَّزوُّج. وأهلُ الرَّجُل أخَصُّ النّاس به. وأهلُ البيتِ: سُكّانه. وأهلُ الإسلامِ: مَن يدينُ بهِ[2]. ويُقال: آهَلْتُ بِفلان وأهَلْتُ به[3]؛ أي: أنِسْتُ به، وهُم أهلي وأهلَتي، أي: هم الّذين آنَسُ بهم[4]، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾: كانوا أهل كلمةِ التَّقوى؛ لأنَّها تُناسِب ضمائرَهم وما انطوت عليه قلوبُهم[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

صلح الحديبية بين نقاء الإيمان ودرَن الشِّرك والجاهليَّة

يبيِّنُ اللّه سُبحانَهُ أنَّ الذين كفروا أصَرّوا على أنفَةِ الجاهليَّةِ وحميَّتها التي كانت سائدةً قبل الإسلام، رافضين الإقرارَ برسالَةِ محمَّد ﷺ، ومِن ذلك امتناعُهم عَن كتابة "بسم اللّه الرّحمن الرّحيم" في صلح الحديبية، وأبَوْا أن يكتبوا: "هذا ما قاضى عليه محمَّدٌ رسولُ اللّه"، فأنزل اللّه تَعالى السَّكينة والطُّمأنينةَ على رسولِهِ ﷺ وعلى المؤمنين معهُ؛ تثبيتًا لهم، وألزمهم كلمةَ التَّقوى؛ وهي "لا إله إلّا اللّه"، وكان رسول اللّه ﷺ والمؤمنون أحقَّ بهذه الكلمة وأهلًا لَها دون الكافرين، وكان اللّه بكل شيء عليمًا، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السّماء[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ ﴿إِذْ﴾ الظَّرفيَّة، وبيان علَّة فصل الجملة عمّا قبلها:

أثَـرُ الاسْتِئْنافِ البَيانيِّ في إبْرازِ مُتابعَةِ المُتَلَقّي وشَوْقِه

﴿إِذْ﴾ ظرفٌ معمولٌ لـ (عَذَّبنا)، وفائدة تصدير الآيةِ بالظَّرف

(1) الفيومي، المصباح المنير: (أهل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أهل).
(3) نشوان الحميري، شمس العلوم: (أهل).
(4) أبو عبيد الهروي، الغريبين: (أهل).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 197.
(6) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسّر، ص: 514.

هنا: بيانُ وقت اسْتِحْقاقهم العذابَ[1]، أو هوَ معمولٌ لـ (صَدّوكم)، والمعنى: صدّوكم صدًّا لا عُذْرَ لهُم فيه ولا داعي إليه إلّا حميَّة الجاهليَّة[2]. ويجوزُ أن يكون في موضعِ نصبٍ على المفعوليَّة بفعل محذوفٍ تقديره: اذكر[3]. وفُصِلَت الجملةُ عمّا قبلها؛ لوقوعِها استئنافًا بيانيًّا، لِما تَرتَّب على الجملةِ الأولى مِن إثارةِ سُؤالٍ في نفس المتلقّي، وتقديرُه: لِماذا صدَّ المُشْركون رسولَ الله ﷺ ومن معه عَن دخولِ المسجد الحرام؟ فكانَ الجوابُ في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، أي: إنَّهم فعلوا ذلك لِما انْطَبَعَت عليه قلوبُهم من أنفَةِ الجاهليَّة، فيَكون بين الجملتينِ شبهُ كمال الاتِّصالِ.

دلالة التَّعبير بالفعل الماضي ﴿جَعَلَ﴾:

الجَعلُ من الألفاظِ العامَّةِ في الأفعال كلِّها، وهوَ أعمّ من (فَعَلَ) و(صَنَعَ) ونحوهما، كما أنَّه يأتي بمعنى الخَلْقِ أو التَّصيير[4]. وهو هنا بمعنى التَّصْيير، والمعنى: جعلوها ثابتةً راسخةً في قلوبهم[5]، والتَّعبير بالفعل الماضي يدُلُّ على هذا الرُّسوخ وتَحقُّق حميَّة الجاهليَّة فيهم وتمَكُّنها من أنفسهم وقلوبهم.

تمكّن حميَّة الجاهليَّة مِنْ قلوبهم ورُسوخُها في أنفُسِهم

دلالةُ تعريفِ المُسْنَدِ إليه بالموصوليَّة، وسرُّ التَّعبير بالفعلِ الماضي ﴿كَفَرُواْ﴾:

عُبّر بالمسنَدِ إليهِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمًا مَوْصولا في قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ ذمًّا لهم بِما جاء في جُملَةِ الصِّلة، وتَنْصيصا على السَّبب في تمكُّن حميَّة الجاهليَّة منهم؛ وهو أنَّهم كفروا بالله تَعالى كُفْرًا راسخا

التَّسجيل عليهم بوَصْفِ الكُفْرِ، وبيانُ أنَّه السَّبب في كلِّ جرائِمهم وآثامهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 329.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 193.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 497، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 112.
(4) الراغب، المفردات: (جعل)، والكفوي، الكليات، ص: 347.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 112.

متحقّقا، دَفَعَهُم إلى الوُقوع في هذا الخُلُق الذَّميم وأغراهم به. ولأجْلِ هَذا عُبِّر بهِ فعلًا ماضيا. وفي إظهار وصفِ الكُفْرِ معَ سبْقِ ذِكْرِه في الآية المتقدِّمة: تأكيدٌ لِتَحَقُّقِهم به وتسجيلٌ عليهم بأنَّه السَّبب في دَفْعِهم إلى كلِّ ما وقعوا فيه مِن آثامٍ وجرائِمَ، ومنها صدُّ المؤمنين عن المسجد الحرام باستدعاءِ حميَّة الجاهليَّة المغروسة في قلوبِهم.

معنى ﴿فِي﴾ ودلالتُها في ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾:

تـمـكُّـن حميَّة الجاهليَّة مِـنْ قلوبهم

﴿فِي﴾ من قول الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ للظَّرفيَّة المجازيَّة. وفي التَّعبير بها دلالةٌ على تمكّن حميَّة الجاهليَّة مِنْ قلوبهم تمكّن الظَّرف من المظروف، فكأنَّها حوت قلوبَهم واستغرقتها بحيثُ لم تترك فيها مكانًا لغيرها، حتّى ظهرت آثارُها على أخلاقِهم وسُلوكِهم، فَبَنَوْها عَلى أساسِها، ومن ذلك صدُّهم المؤمنين عن المسجد الحرام ومَنْعُهم ذبحَ هديهم فيه.

دلالةُ تعريف ﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾ باللّام:

الحميَّة ضربان مـحـمـودَةٌ ومذمومَةٌ، وهيَ في الآيَةِ المَذمومَةُ

عُرِّفَ لفظُ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ بـ (أل)، وهي محتملة لأن تكون جنسيَّةً، لولا أنَّه جاء تفسيرُها وبيانها في قوله: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، فَبانَ بذلكَ أنَّها للعَهْدِ العلْميِّ، وأنَّها الحميَّة المذمومة ليس غير. فقوله تعالى بعد ذلك: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ عطف بيان لـ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾؛ حيث بيَّنت أنَّها الحميّة المرغوبُ عَنْها؛ إذِ الحميَّة منها ما هو ممدوحٌ، كإباء الضَّيم وصيانة العزَّة، وذلك إذا ما كانت في الحقِّ، أمّا إن كانت في الباطلِ؛ فهيَ استكبارٌ وتجبّر بغيرِ حقٍّ؛ لكونها تَمنَعُ من الإذعان للحقِّ، ومبناها على التَّشفّي على مُقْتَضى الغَضَب لغير الله تعالى[1]، فتكون مذمومةً لأجل ذلك، كما هو الشَّأن فيها هنا. وبذلك يكون

(1) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 7/ 225.

البيانُ في قوله: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ من باب التَّفصيل بعد الإجمال، لغرض تقرير معناهُ وتأكيده[1].

سِرُّ الإضافةِ في ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾:

ذمُّ حميَّة الجاهليَّة والتَّشنيعُ عَلَيْها وعَلى أهْلِها

قوله تعالى: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ عطفُ بيانٍ أو بدلٌ من ﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾؛ يُرادُ به تفسيرُ معنى الحميَّة، وأنَّ المقصودَ به الحميَّةُ المذمومةُ، وليست حميَّةَ العزَّةِ والإباءِ المحمودةَ. والإضافة في قوله: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ من إضافة المَوْصوفِ إلى الصِّفة. وغرض هذه الإضافة: المُبالَغَة في ذمِّها وتحقيرها وزيادة التَّشنيع عليها[2]. والمَعْنى: الحميَّة النّاشئة من الجاهليَّة، أو حميّة الملَّة الجاهليَّة؛ لأنَّها بغير حُجَّة، وواقعةٌ في غير موضِعِها[3].

معنى الفاءِ ودلالَتُها في ﴿فَأَنزَلَ﴾:

تَعْجيل الله تعالى الجزاءَ الحسَنَ لأهلِ الإيمان

الفاء في ﴿فَأَنزَلَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جُملَةِ ﴿جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وقد أوثرَ العطفُ بها على العطفِ بغَيْرِها؛ لدلالتها على التَّرتيب والتَّعقيب، والمَعْنى: أنَّ الله تعالى أنزل السَّكينة على قلوب المؤمنين فورَ استفزاز المشركين لهُم بصدِّهم عن دخول الحرَم؛ لتَبْرُدَ في قلوبِ المؤمنين الحماسَةُ للقتال الّذي كانوا قد تأهَّبوا له ليَدْخُلوا مكَّة عُنْوَةً، لولا أنَّ الله تعالى ألقى هذه السَّكينة في قُلوبهم، فهدَأت، وامتَثَلوا للحِكْمَةِ الإلهيَّة في الامتناع عن القتالِ كما أوضَحَتها الآيةُ السّابقة؛ وهي وجود مؤمنين ومؤمنات بين ظهرانَي المشركين لا يَعْرِفونَهُم. ويجوز أن تكون الجملةُ معطوفةً على محذوفٍ، والتَّقديرُ: فضاقت صدورُ المُسْلِمين، واشْتَدَّ الكرب عليهم ﴿فَأَنزَلَ﴾[4]. كما أنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 194.
(2) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 18/ 89، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 194.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 269.
(4) الصاوي، حاشية الصاوي على الجلالين: 6/ 353.

في إيثار العطفِ بالفاء دون الواوِ في ﴿فَأَنزَلَ﴾ دلالةً على المقابلة والمجازاةِ، كما تقول: أكرمني زيدٌ فأكرمتُه، فأفاد العطفُ بالفاء في الآية أنَّ إنزال السَّكينة كان لجَعْلهمُ الحميَّة في قُلوبِهم حتّى إنَّ المؤمنين لم يَغْضَبوا ولم يَنْهَزِموا، بل صبَروا، وهذا بعيدٌ في العادَةِ، فكان حصولُهُ محضَ فضلٍ مِنَ الله تعالى[1].

دلالة التَّعبير بالفعل الماضي (أنزل):

تحقُّقُ نزولِ السَّكينة على قلوبِ أهلِ الإيمان

عُبّر بالفعل الماضي (أنزل) من قول الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ للدّلالة على تحقُّقه وسرعة الاستجابةِ بإنزالِ السَّكينة في قلوب المؤمنينَ. وبين الفِعْلَيْنِ ﴿جَعَلَ﴾ و(أنزل) مفارقَةٌ عجيبَةٌ تُبْرِزُ وجهَ مناسبةِ كُلِّ لفظٍ منهُما لجُملَتِها؛ فالحميَّة مجعولَةٌ في الحالِ، بمنزلةِ العرَض الّذي لا يَبْقى، بل مِنْ شأنه الزّوالُ، وأمّا السَّكينَةُ فهي كالشَّيءِ المحفوظِ في خزانة الرَّحمة، فأنزلها سُبحانَهُ[2].

الغرضُ من التَّعبير بالاسمِ الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ مسندًا إليهِ:

بيانُ جلالَةِ السَّكينة وشرفِ أهل الإيمانِ

أُسندَ الإنزالُ إلى الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾؛ تشريفًا للمؤمنين، وبيانًا لِعِظَمِ هذه السَّكينة الّتي نزلت على قُلوبِهم، لِما يتضمَّنُهُ الاسم الأحسَنُ مِن معاني الجلالِ والجمالِ والكمالِ.

الغرضُ من الإضافة في ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾:

تَشريفُ السَّكينة وتَفْخيمُها

أضيفَ لفظُ الحميَّة إلى الجاهليَّة لقصد التَّحقير والتَّشنيع، وأُضيفَت السَّكينة إلى الضَّمير العائدِ إلى الله تعالى إضافةَ تشريفٍ وتفخيمٍ وتعظيمٍ؛ وهيَ مقابلَةٌ نابعَةٌ مِن مصدَرِ كُلٍّ من حميَّة الجاهليَّة والسَّكينة؛ إذ كانت حميُّتهم من نوازع جاهليَّتِهم، وأمّا

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 271.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 271.

إنزالُ السَّكينة على الرَّسول ﷺ والمؤمنين؛ فهيَ موهبَةٌ إلهيَّة[1]. على أنَّ الحميَّة لمّا كانت قبيحةً مذمومةً في نفسِها؛ فَقَدِ ازْدادَت قُبْحًا بإضافتِها إلى الجاهليَّة، بخلاف السَّكينة فإنَّها حسنة في نفسِها، وقد ازدادت حُسْنًا بإضافتها إلى الله ﷻ[2].

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودلالَتُها في ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾:

بـيـانُ شـرَفِ السَّكينة وشرفِ مَن أُنْزِلَت عليهِ

﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ حرف جرٍّ يدلُّ على الاستعلاء، وهو استعلاءٌ مجازيٌّ، وفائدة التَّعبير بهِ الدّلالةُ على شرف السَّكينة وشرف مَن أُنْزِلَت عليه؛ إذ هي مُنْزَلة من عند الله تعالى على رسولهِ ﷺ وعلى المؤمنين معَهُ.

الغرض من الإضافَةِ في ﴿رَسُولِهِۦ﴾:

أضيف لفظ (رسول) إلى الضَّمير العائدِ إلى الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ تشريفًا له ﷺ وبيانًا لرفعَةِ قَدْره.

دلالة العطفِ في ﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، والغرضُ من تَكرار (على):

الإشْـعـارُ باستقلالِ كُـلِّ نعمةٍ عن أُختِها

الواوُ في ﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عاطفةٌ ما بعدها على قولهِ: ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ تشريكًا في فَضْلِ هذا الإنزال بينَ الرَّسول ﷺ والمؤمنين. وغاير بينَهُما بالعطفِ إشعارًا بالاستقلالِ، فَهُما نعمتانِ لا نعمة واحدة. وأُعيد حرف الجرِّ (على) تأكيدًا، ودلالةً على الاستقلاليَّة المذكورة. وفي الآيةِ إيجازٌ بالحذف، والتَّقدير: فأنزل الله سكينته على رسوله وأنزَل سكينتَه عَلى المؤمنين.

دلالات المقابلة بين جملتي: ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ و﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ﴾:

شـتّـان مـا بين الـفـريـقَـيْن من تفاوُتٍ في الفَضْلِ والشَّرف

في المقابَلَةِ بينَ قولِ الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ وقولهِ سُبْحانه: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 194.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 271.

رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دلالاتٌ مهمَّة؛ **أحدها:** أنَّه جُعِل ما للكافرين بجَعْلهم، فقال ﷻ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وجُعِلَ ما للمؤمنين بجَعْلِ اللّه تعالى، فقال سُبحانه: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾، وبين الفاعِلَين ما لا يَخْفى. **ثانيها:** جُعِلَ للكافرين الحميَّةُ، وللمؤمنين السَّكينة، وبين المفعولَيْنِ تفاوُتٌ بيِّنٌ. **ثالثُها:** أُضيفَت الحَميَّة إلى الجاهليَّة وأُضيفَتِ السَّكينة إلى اللّه سُبحانَهُ؛ فقال سبحانَهُ: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، وقال: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾، وبينَ الإضافَتَيْنِ ما لا يخفى مِنَ التَّفاوت[1].

معنى الواوِ ودِلالَتُها في ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾:

تَعَدُّد إنْعامِ اللّه تَعالى عَلى أهلِ الإيمانِ

الواو في ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جملة ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لِما بينهما من التَّوسُّط بين الكمالَيْنِ؛ فإنَّهما اتَّحدتا في الخبريَّةِ، وبينَهما تناسُبٌ لفظيٌّ ومعنويٌّ، فأمّا اللَّفْظيُّ فهو اشتراكُهما في الفعليَّةِ والماضويَّة، واتِّحاد المسنَدِ إليه فيهِما؛ وهو الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ في الجملة الأولى، والضَّمير العائد إليه في الجملة الثّانية. وأمّا التَّناسُبُ المعنويُّ؛ فهو اشتراكهما في إنعام اللّه تعالى عليهم؛ فالقَصْدُ من العطف: الجَمعُ لهم بين نِعْمَتَي إنزال السَّكينة في قلوبهم، وإلزامهم كلمةَ التَّقوى.

دلالة التَّعبير بالفعل الماضي، وجمعِ الضَّمير:

تحقُّق فضلِ اللّه تعالى وإكرامِهِ لأهلِ الإيمان

عُبّر بالفعل الماضي (أَلْزَمَهم) في قول اللّه تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ للدّلالَةِ على تحقُّق هذا الإلزام، وفيه إشعارٌ بفضل اللّه تعالى عليهم به. والمعنى: اخْتارَ لهم، فهو إلزامُ إكرام وتشريفٍ وتوفيقٍ[2]، وليس إلزامَ إكراهٍ وإلجاءٍ كما قَد يُتَوَهَّمُ. والمرادُ أنَّهم مُداوِمونَ على التَّقوى مُسْتَحْضِرون لها في كلِّ موقفٍ، فهي لا تُفارِقُهُم.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 84.
(2) الصاوي، حاشية الصاوي على الجلالين: 6/ 355.

وفي استخدام الإلزامِ في معنى المُداومة على التَّقوى استعارةٌ تصريحيَّة تبعيَّة، بتنزيل المداومة عليها منزلة الملازم الذي لا يُفارق صاحبَه.

وعُبِّر بالجَمعِ دونَ التَّثنيةِ في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ مراعاةً للجمع في لفظ (المؤمنين)؛ إذ التَّقوى مأمورٌ بها من كلِّ أحدٍ، والرَّسول ﷺ مأمور بالتزامها، كما ورد الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 1]، كما أُمِر المؤمنون بالتِزامِها في عَشَراتِ الآياتِ.

الغرض مِن الإضافة في: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾:

أُضيفَ لفظ ﴿كَلِمَةَ﴾ إلى ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾؛ لأنَّها سببُها وأساسها[1]؛ أي: أنَّ الكلمة – وهي كلمة التَّوحيد (لا إله إلّا الله) – بمُقْتَضياتها هي سببُ حصولِ التَّقوى، وليس مِن ريبٍ أنَّ أصل حصول التَّقوى هو التَّوحيد، ثُمَّ العمل بمقتضيات هذا التَّوحيد من التَّحقق بأركان الإيمان وإقامة الشَّعائر وفعل المأمورات والانتهاء عن المحظوراتِ. ويجوزُ أن تكونَ الإضافةُ للاختصاص الحقيقيِّ، على تقدير مضاف، والتَّقدير: وألزمهم كلمةَ أهلِ التَّقوى[2]، فيكون في الجملة إيجازٌ بالحذفِ.

كلمة التَّوحيد هي أساس التَّقوى وسببُ حُصولِها

معنى الواوِ ودِلالَتِها في ﴿وَكَانُوٓاْ﴾، وبيانُ مرجعِ الضَّمير:

الواوُ في ﴿وَكَانُوٓاْ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على ما قبلها، والضَّمير في (كانوا) يعودُ على المؤمنين، أي: وكانَ المُؤمنون مع إلزامهم كلمةَ التَّقوى أحقَّ بها مِنَ الكُفّار. وهذا هو الظّاهر. وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ الضَّميرَ يعودُ على الكُفّار، على معنى: كانت قُرَيْش أحَقَّ بها لولا حِرْمانُهم – وهو غير ظاهرٍ – [3]. وعلى هذا المعنى الأخير

تنوُّع المعاني وثَراؤُها باختِلاف مَرْجِع الضَّمير

(1) شيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي: 7/ 626، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 112.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 271.
(3) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 719.

تكونُ الواو للحالِ، والجملةُ بعدها حالٌ مِن الضَّمير المنصوب، والتَّقدير: ألزَمَهُم تلكَ الكلمةَ في حالٍ كانوا فيه أحقَّ بها وأهلَها ممَّنْ لم يُلْزَموها، وهُم الّذين لم يَقْبَلوا التَّوحيد على نحو قولهِ تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 143][1].

دلالَةُ التَّعبير بفعلِ الكَوْنِ (كانوا):

في التَّعبير بفعل الكَوْنِ (كانوا) من قول الله تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ تخلُّقَهُم بالتَّقوى أشبَهُ بالسَّجايا والطِّباع التي لا تنفكُّ عمَّنْ طُبِعَ بها فلا تُفارِقُهُ.

الغرضُ مِنَ التَّعبير بالجملة الاسميَّة ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ﴾:

رُسوخُ التَّقوى في قُلوب أهلِ الإيمان

أوثرَ التَّعبير بالجملة الاسميَّةِ المسبوقة بالفِعْلِ النّاسخ ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾؛ للدّلالَةِ على رُسوخ التَّقوى في قُلوبهم وثَباتِها، واستمرارِهم عليها، وأنَّها لهم عنوانٌ، وذلك لشِدَّة مُلازَمَتهم لَها وعدم تَجاهُلِها فيما يَعْتَرِضُهُم في كلِّ مواقفِ الحياةِ حَسَنِها وسَيِّئِها، خيرِها وشَرِّها.

الغرض من التَّعبير بأفعل التَّفضيل ﴿أَحَقَّ﴾:

التَّأكيد على أحقّيَّة المؤمنين بكلمةِ التَّقوى دون غَيْرهم

﴿أَحَقَّ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ أفعلُ تفضيلٍ، وهوَ هُنا ليسَ على بابِهِ؛ إذْ ليس للكُفّار أيُّ حقٍّ في كلمة التَّقوى، فصيغَةُ التَّفضيل يُرادُ بها الزّيادة مُطلقًا[2]، أي: لزيادَةِ الأحَقّيَّة في نفسِها، أي: أنَّهم مُتَّصفون بمزيدِ استحقاقٍ لَها[3]، والمَعْنى: المُؤْمنون هُم الأحقُّ مِن كلِّ وجهٍ بكلمةِ التَّقوى مِنَ الكُفّار الّذين ليس لهم حقٌّ فيها وقَد تَخَلَّوْا عنها. وعلى ذلكَ فَصيغَةُ التَّفضيل واردة في مقام تأكيدِ أحقّيَّة المؤمنين دونَ غيرِهم بكلمَةِ التَّقوى. وألمَحَ بَعْضُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 196.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 113.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 497، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 272.

أهل العلم إلى أنَّ المفاضلةَ على بابها، وأنَّ المقصودَ: أنَّهم أحقُّ بها من الكُفّار، على معنى: أنَّ نفوس المؤمنين كانت مُتَهَيِّئة لقَبولِ كلمةِ التَّقوى والتزامها بِما أرشدَها الله تَعالى إليه. والمفضّل عليه مُقَدَّر دلَّ عليه ما تقدَّم؛ أي: أحقُّ بها مِن الذين كفروا الّذين جعلَ الله تَعالى في قُلوبِهم الحميَّة؛ لأنَّ الله تَعالى قدّر لهم الاستعدادَ للإيمان دون الّذين أصرّوا على الكُفْر[1].

معنى الباءِ ودِلالَتُها في ﴿بِهَا﴾:

لـــزومُ أهـــلِ الإيـمـانِ كـلـمَـةَ التَّوحيدِ

الباءُ في ﴿بِهَا﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ للإلصاقِ والمُلابَسَة، والمعنى: أنَّ المؤمنينَ أحقُّ بالتَّلبُّس بكلمَةِ التَّقوى من غيرهم، حتّى إنَّهم من شدَّة تلبُّسهم بها؛ كانوا ملاصقينَ ملازمينَ لها لا يُفارقونَها؛ فَهُمُ المَوَفَّقون إليها العامِلون بمُقْتَضاها.

معنى الواوِ ودلالَتُها في ﴿وَأَهْلَهَا﴾:

التَّرقّي في مَـدْحِ أهلِ الإيمانِ

الواو في ﴿وَأَهْلَهَا﴾ من قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ عاطفةٌ ما بعدَها على لفظِ ﴿أَحَقَّ﴾، ومعنى كونِهم أهلَها؛ أي: أنَّهم المُسْتَأهلون لَها. وهذا الوصفُ أبلغ من الوصفِ بالأحقّيَّةِ. حتّى قال بعضُ أهل العلم: إنَّ بينهُ وبين الأحقِّ كما بين الأحقِّ والحقِّ[2]، فيكون عطفُهُ على ﴿أَحَقَّ﴾ لأجْلِ التَّرقّي.

الغرَضُ مِنَ الإضافَةِ في ﴿وَأَهْلَهَا﴾:

بـيـانُ شـرَفِ المؤمِنينَ

أُضيفَ لفظُ (أهل) إلى الضَّمير العائد إلى (كلمة التَّقوى)؛ لإرادة التَّشريف، وهي إضافَةُ اخْتِصاصٍ، أي: أنَّهم وحدهم المُسْتَأهلون لَها، فالمعنى: أنَّهم كانوا أهلَ كلمَةِ التَّقوى؛ لأنَّها تُناسِب ضَمائِرَهُم وما انْطَوَت عليهِ قُلوبُهُم[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 197.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 272.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 197.

الغرَضُ مِن التَّذييل بالجُملَةِ الاسميَّة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾:

تأكيدُ ما قَرَّرتهُ الآيَةُ مِن أحكامٍ

قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ تذييلٌ مقرِّر لمضمونِ ما قبله، ومُبَيِّن لأنَّه قد سبق في علم الله تعالى ذلك في عموم ما أحاطَ به علمُهُ سُبحانَهُ من الأشياءِ مجرى تكوينِه على نحوِ علْمه[1]. والتَّعبير بالجملة الاسميَّة في هذا التَّذييل تأكيدٌ لرسوخ علمهِ سُبْحانَهُ وثبوته؛ إذ علمُهُ تعالى من الصِّفاتِ الذّاتيَّة التي لا تنفكُّ عَنْهُ بحالٍ. وفعل الكَوْنِ (كان) هنا مسلوبُ الزَّمان؛ فهو سُبْحانَهُ كانَ ولا يزالُ بكُلِّ شيءٍ عليمًا.

الغرضُ من التَّعبير بالاسمِ الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ مسندًا إليه:

طَـمـأنَـةُ أهـلِ الإيمان وزعزعَةُ أهلِ الكُفْرانِ

الاسم الأحسنُ ﴿ٱللَّهُ﴾ هو الاسم العلَمُ الدّالّ على الذّاتِ واجبِ الوجودِ، الجامع لصفاتِ الجلال والكمال والجمال، وإسنادُ العلم إليه يُقَوّي بعثَ الطُّمأنينة والسَّكينة في قلوب المؤمنين، كما أنَّه يُزَعْزِعُ أركانَ الكافرين ويُزَلْزِل قلوبَهُم مِن هيبَتِه وجلاله.

دلالةُ لفظ (كلّ)، والغرضُ مِنْ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾:

الاهْتِمامُ بالمُقَدَّم والتَّشويقُ إلى المؤَخَّر

لفظُ (كُلّ) موضوعٌ للعُموم، والتَّعبير به يُفيدُ تعلُّقَ علْمِه سُبْحانَهُ بجميعِ ما في الكَوْنِ عُلْوِيِّه وسُفليِّه، كبيرِه وصغيره وأصغرِه، بحيثُ لا يعزُب عن علمهِ مثقالُ ذرَّة ممّا في ملكه، كما قال سبحانه: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣﴾ [سبأ: 3]، وقال تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾ [الأنعام: 59]. وقُدّم الجارُّ والمجرورُ ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ على ﴿عَلِيمًا﴾؛ للاهتمام بالمُقدّم والتَّنبيه والتَّشوق إلى المُؤَخَّر. كما أنَّ في هذا التَّقديم مراعاةً للتَّناسُبِ الصَّوتيِّ لِفواصل الآي.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 197.

الغرَضُ مِنَ الإضافةِ في ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾:

تأكيدُ الدّلالةِ على عُمومِ عِلْمِه سُبْحانَهُ

استُعْمِلَ اللَّفظُ الدّالُّ على العموم (كلّ) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾؛ لوقوع قيّوميّته سبحانه على كلِّ ما في الكونِ، أيْ: كلِّ ما يسمّى شيئًا؛ فهو خاضع لعلمه وشُهودِه، ولذا أُضيفَ إليهِ لفظُ ﴿شَيْءٍ﴾ وهو دالٌّ على عموم المَوْجوداتِ. على معنى: أنَّه سبحانه عالم بِكُلّ شَيْء من الأشياءِ ومراقِبٌ لأحواله، ومقتضى ذلك الإحاطةُ بتفاصيل ما في قلوبِ الكافِرين وقُلوبِ المُؤْمِنين، مُجازٍ كلًّا بِما يليقُ به.

الغرَضُ من تَنْكير لفظِ ﴿عَلِيمًا﴾:

عظمَةُ عِلْمِ الله تعالى وسَعَتُهُ وإحاطَتُهُ

نُكِّر لفظُ ﴿عَلِيمًا﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ لإفادَةِ تَعْظيم الوصفِ، ولازِمُ ذلك تعظيمُ الموصوفِ بِها سُبْحانَهُ. كما أنَّ لفظَ (عليم) صيغةُ مبالغةٍ تُفيدُ عِظمَ الوصفِ كذلك؛ فاجتمَع في لفظ ﴿عَلِيمًا﴾ في الآية الكريمةِ تعيظمانِ؛ مِنْ حيث بناءُ اللَّفْظِ، ومن حيث حالُهُ العارضةُ لهُ وهي التَّنكيرُ.

بلاغَةُ الاحْتِباكِ في الآيةِ الكريمَةِ:

ذِكْرُ مَجْمَعِ الشَّرِّ ترهيبا، ومَجْمَعِ الخيرِ ترغيبًا

في قوله الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ حذفٌ مقابَليٌّ وهو المسمّى: الاحتباكَ؛ حَيْثُ ذُكِرَت حميّة الجاهليَّة أوَّلًا دليلًا على ضدِّها ثانيًا، وذُكِرَت كلمة التَّقوى ثانيًا دليلًا على ضدّها أوَّلًا، فيكون تَقدير الآية هكذا: إذ جعل الّذين كفروا في قلوبهم الحميَّة حميَّةَ الجاهليَّة، وألزمَهُم الله تعالى كلمةَ الفجورِ وكانوا أحقَّ بذلك وأهلًا، وأنزل الله سكينتَهُ على رسوله وعلى المؤمنين، وجعلوا في قلوبهم الحميَّةَ المحمودَةَ للحقِّ، وألزمهم الله تعالى كلمة التَّقوى وكانوا أحقَّ بها وأهلَها.

وسِرُّ هذا الاحتباك: أنَّه قد ذُكِر مَجْمَعُ الشَّرّ أوّلًا؛ ترهيبًا منه، ومَجْمَعُ الخيرِ ثانيًا؛ ترغيبًا فيه[1].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 332.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"